JOURNAL OF HUMANITARIAN AND APPLIED SCIENCES
ISSUE 14 – VOLUME 7
مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية
العدد 14 - المجلد 7
ISSN: 2706-9087

تاريخ أزواد وواقعها مع دولة مالي

د.الصادق أبوعجيلة أبوغنيمة

قسم التاريخ_كلية التربية القره بوللي_جامعة المرقب

Financical 1963 – 1989 Conflict Azawad

Dr. Abughnaymah Alsadiq Abuojaylah Abdullah

Elmergib University

Abstract:

The annexing of Azawad region in Mali was among within the framework of punishment to the Tuareg tribes chiefs and to protect the interests of France in the region. As those chiefs, lead by Fahrun Elansari, rejected the idea of forming a state with no sovereignty in the Grand Sahara whose natural wealth is exploited by France with the support of the Malian government. Hence, the relationship between South Mali and north Mali has been characterized with tension and armed revolutions starting from 1963. The president of the government (Mr. Modibo Keita) adopted an aggressive policy against the inhabitants of Azwad which included killing, torture, exile and confiscation of properties. So, the chiefs and leaders of Azawad called for the resistance (Jihad) depending in their revolutions on guerilla warfare and attacks on government centers and seizing arms from them and asking for independence from the mother state Mali. However, Modibo Keita faced them with oppression and maltreatment and as a result the rebels (Mujahidin) escaped to Algeria and Morocco who decided to hand over the Azwad rebels who were in their land to the Malian government who through them into prison during the Keita government existence with French support because France still considers the state of Mali as one of its Onala Colonization regions in Western Africa.

الملخص:

إن إلحاق إقليم أزواد بمالي كان في إطار العقاب لزعماء قبائل الطوارق وحفاظًا على مصالح فرنسا في المنطقة فقد رفض هؤلاء وعلى رأسهم فهرون الأنصارى تشكيل دولة منزوعة السيادة في الصحراء الكبرى تستغل فرنسا ثرواتها الطبيعية بمساندة الحكومة المالية ومن ثم اتسمت العلاقة بين جنوب مالي وشمالها بالتوتر والتورات المسلحة عام 1963 فاتبع رئيس الحكومة (موديبوكيتا) سياسة تعسفية ضد سكان أزواد تمثلت في القتل والنفى والتعذيب ومصادرة الممتلكات فتنادى زعماء أزواد بالجهاد معتمدين في ثوراتهم حرب العصابات والهجوم على مراكز الحكومة وانتزاع الأسلحة منها مطالبين بالاستقلال عن دولة مالي الأم غير أن (موديبوكيتا) واجههم بالقمع والتنكيل ففررت قيادات المجاهدين إلى الجزائر والمغرب اللتان عمدتا إلى تسليم ثوار أزواد الموجودين في أراضيهما للحكومة المالية التى أودعتهم في سجونها طيلة حكومة (كبتا) بدعم فرنسي؛ لأن فرنسا لازالت تنظر إلى دولة مالي بأنها إحدى مناطق نفوذها في غرب أفريقيا .

ISSN: 2706-9087

المقدمة :

يطلق اسم آزواد على المنطقة الصحراوية الواقعة في شمال مالي، بمساحة تقدر حوالي 820 ألف كم2 ، وتمثل 60% من مساحة دولة مالي وهو معروف اليوم إداريًا بالإقليم السادس في مالي، ويستحوذ الإقليم على نحو ثلثي الأراضي المالية؛ حيث يضم المدن الرئيسية تنبكت، كيدال، غاو، ويبلغ سكانه نحو مليوني نسمة ويسكنه العرب والطوارق، وبعض المجموعات العرقية الأخرى أهمها قبائل السونغاي والفلان. (**Tauxier:1937. P.15**).

يشكل الأزواديون نسيجًا بشريًا متجانسًا مع سكان موريتانيا والصحراء الغربية وجنوب المغرب وجنوب الجزائر(**الخوند: د .ت ، ص 152**).

ويعتبر نهر النيجر الحد الجنوبي لهذا الإقليم عندما يندفع هذا النهر شمالاً باتجاه الصحراء ثم ينحني راجعًا نحو الشرق في منطقة يسميها سكان أزواد (عكفة النهر)؛ حيث ترتبط مدينة تنبكت الشهيرة التي تعتبر عاصمة الإقليم، وإلى الشمال من هذه المدينة تقع مدينة أروان، أما في أقصى الشمال فتقع جبال كيدال التي تمتد إلى حدود الجزائر .

وقد زارها الحسن الوزان ووصفها بأن الوصول إليها بمشقة، وازدادت أهميتها وشهرتها بعد أن نزل فيها المختار الكنتي وأسس بها زاوية كنته المشهورة التي توافد عليها العلماء وطلاب العلم وغدت منارة علمية. (**الدالي،2002: ص22**)

أما عن الحقيقة التاريخية للإقليم فقد ضم إلى مملكة مالي الإسلامية في عام 1225م واحتفظت بحكم ذاتي، وأحتل المغاربة الإقليم في عام 1591م إلى أن أُستعمر من فرنسا في عام 1891م ، وبعد استقلال دولة مالي عام 1960م ضمت إليها صحراء أزواد؛ لكن أزواد – رغم ذلك – ظل متمسكًا بانتمائه التاريخي والعرقي والديني إلى المغرب العربي الأم.

المبحث الأول. جغرافية آزواد :

تقع آزواد بموقعها الجغرافي الحالي شمال دولة مالي؛ حيث تحدها مالي وبوركينا فاسو من الجنوب و النيجر من الشرق والجزائر من الشمال والشرق وموريتانيا من الغرب.

وإقليم آزواد في عمومه صحراء شاسعة تتخللها الجبال المتقطعة، والكثبان الرملية والأودية الجافة، وفي أجزاء منها صحراء منبسطة سماها الصحراويون (التيزي) أو صحراء الصحارى لعدم وجود أي أثر للمياه فيها، وتهب على منطقة أزواد الرياح الجنوبية الحارة المثيرة للأتربة حتى تمنع الرؤية، كما تهب عليها الرياح الغربية الساحلية، مع سقوط كميات قليلة من الأمطار غير المنظمة في فصل الخريف، والتي تتحكم في ارتحال السكان وتنقلهم بين الجنوب وأقصى الشمال، ومعظم سكان هذا الإقليم من العرب بعضهم كان يقطنه قبل مجيء الإسلام إلى المنطقة، وبعضهم جاؤوا مع الفاتحين الأولين من الحملات العربية الإسلامية أفرادًا فتزوجوا واستقروا ونما عددهم، وبعضهم جاؤوا قبائل ومجموعات مع الهجرات الهلالية وعرب المعقل.

ISSN: 2706-9087

وقد امتزج سكان المنطقة واختلطوا بالتزاوج حتى لم يعد من السهل التفريق بين أنساب أولئك الذين كانوا في المنطقة قبل الإسلام، وبين أولئك الذين جاؤوا إليها بعد الفتح الإسلامي؛ بل إن بعض القبائل تحولت لغتها إلى اللغة العربية، وتكون في المنطقة شعب عربي يتقن لهجات عرب المنطقة التارقية والسونغاي، ويتحد في العادات والتقاليد(**القشاط**: **200ف، ص 20**).

ومن أهم القبائل التي قطنت المنطقة وأثرت فيها اقتصاديًا وسياسيًا واجتماعيًا قبائل البرابيش، وكنته، والأنصار، وإقوغاس، وأدنان، وأروان الواقعة شمال مدينة تنبكت عاصمة ازواد، وقبيلة جاو التي تعد من أقدم المدن التي وجدت في حوض نهر النيجر، وحاليًا تقع على الضفة الشرقية للنهر وشمال جمهورية مالي.(**الدالي** : **2006م، ص 19**).

أما فيما يخص اقتصاد آزواد عمومًا فقد شهدت المنطقة ازدهارًا اقتصاديًا استمر حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي باعتبارها خط القوافل بين ما كان يعرف ببلاد السودان (مالي الحالية) والشمال الإفريقي، كما لعبت الثروة الحيوانية دورًا مهمًا في حياة السكان فهي من أهم مواردهم الاقتصادية؛ إذ أنهم يمتلكون الآلاف من رؤوس الإبل والماعز والضان والبقر، كما اعتمد السكان على التجارة فهم تجار ووسطاء بين الشمال الإفريقي ومنطقة الغابات الإفريقية، وكانوا أدلاء للتجارة وخبراء طرق حيث كانوا يؤجرون إبلهم للتجار الذين يقدمون من الشمال ويفقدون إبلهم من التعب فيستبدلونها في منطقة آزواد، هذا ويعيش سكان آزواد الذين يقطنون جنوب النهر على بيع الصمغ العربي من شجرة الغابات الكثيفة هناك، وأهم ما يستخرجه الآزواديون هو الملح من ملاحة (تاودني)، وهي الملاحة البديلة لملاحة (تقازة) حيث كانوا يستبدلون هذا المعدن بالذهب والدقيق ويطعمونه لإبلهم، والأشخاص الذين يقطعون الملح من محاجره يبنون بيوتهم من ألواحه، إضافة إلى غنى المنطقة بمعادن أخرى كالحجر الجيري واليورانيوم الذي تستخدمه فرنسا في مفاعلاتها النووية، كما أن وصول نهر النيجر بمياهه المتدفقة إلى أطراف الصحراء جعل سكان آزواد ينشئون حوله المزارع والمشاريع الزراعية لتربية حيواناتهم، كما أن هناك بعض القبائل الآزوادية تشتغل بنسخ الكتب وبيعها كقبيلة (كل السوق)، وهناك مجموعات تمتهن حرفة الصيد وتبيع لحم الحيوانات البرية في أسواق المنطقة (**النصيبي**: **1938** ، **ص 98**).

وعلى الرغم من غنى هذه المنطقة الموزعة بين (مالي،النيجر،الجزائر، وليبيا) بالثروات الطبيعية الآنفة، بالإضافة إلى المخزون السياحي الذي تزخر به والتي اعتبرتها منظمة اليونسكو أكبر متحف طبيعي في العالم ، فإن الطوارق يعدون من أفقر الأثنيات والأقليات التي تعيش في تلك الدول؛ حيث اجتمع عليهم فيها الجفاف، وظلم الحكومات التي نهشت وسلبت أراضيهم وجعلت منهم أقليات ومجرد أشباح شاردة وفزعات ممزقة تجوب وتحوم فيما يشبه دوائر مغلقة بين حدود تلك الدول مما افقد الطوارق عنصر التواصل والحنين إلى قضاياهم المصيرية الواحدة التي كانت قائمة أيام السلطنات السبعة، والتي كانت على شكل فدراليات منتظمة في إطار الدولة، دولة (الصحراء الكبرى) التي أقترحها الجنرال ديجول على قيادات الطوارق بمبادرة رسمية منه في باريس؛ حيث أكد عن نية فرنسا الصادقة بإعطاء الصحراء الكبرى استقلالها قبل أي دولة إفريقية نظرًا لفشل فرنسا في فرض سيطرتها على هذه الصحراء.

فمنذ بداية القرن العشرين والأنظار الفرنسية موجهة نحو منطقة الصحراء الأفريقية الكبرى، العمق الإستراتيجي الحيوي للبلدان المغاربية وامتدادهم الطبيعي باعتبار أن سكان هذه المنطقة من الطوارق، وبعض القبائل الأخرى هم مغاربيون أي خليط من الأمازيغ والعرب صهرهم الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا في أمة واحدة (**اليعقوبي**:**1955**،**ص109**).

ISSN: 2706-9087

ويطغى المذهب السني المالكي والعقيدة الأشعرية على سكان هذه المناطق التي نمت فيها الطرق الصوفية وترعرعت شأنها شأن باقي البلاد المغاربية التي احتضنت العدد الكبير من أهل البيت الفارين من الاضطهاد في المشرق وعرفت بتسامحها وإسلامها المعتدل.

فقبائل الطوارق ومن جاورها في استيطان الصحراء الكبرى لا علاقة لها ثقافيًا وحضاريًا ببلدان أفريقيا جنوب الصحراء، وبالتالي فإن إلحاق هذه الشعوب وأراضيها من قبل المستعمر الفرنسي بدولة مالي كان ظلمًا تاريخيًا لها وجريمة نكراء تضاف إلى جرائم فرنسا في المنطقة المغاربية (**شفيق : 1989م ، ص543**).

وتؤكد أغلب الدراسات والبحوث المجرات من قبل المؤرخين بهذا الشأن أن إلحاق إقليم أزواد بمالي كان في إطار العقاب لزعماء قبائل الطوارق وكذا حفاظًا على مصالح فرنسا بالمنطقة، فقد رفض هؤلاء وعلى رأسهم الأمير فهرون بن الأنصار تشكيل دولة منزوعة السيادة في الصحراء الكبرى تستغل فرنسا ثرواتها الطبيعية من يورانيوم وبترول وتتحكم بزعمائها، وقاوموا الإستعمار الفرنسي بكل ما أوتوا من جهد، بعد أن منعوا فرنسا في وقت سابق من ولوج الصحراء عبر الجزائر فعادت إليها من بوابة الساحل الأفريقي تساندها جيوش السنغال ومالي.

المبحث الثاني . واقع آزواد خلال حكم موديبوكيتا:

خلال فترة حكمه وقعت في ازواد جرائم بشعة ولا إنسانية في حق البشر والحيوان باعتبار الحيوانات المصدر الأساسي لعيش السكان في البوادي وحتى المدن. وهذه قائمة بأرقام وعدد ضحايا هذه الجرائم.

عدد الأطفال الذين يتمو900 طفل والذين سجنو في السجون حوالي 800 شخص بين النساء والرجال على اختلاف أعمارهم.الذين تم سجنهم واعتقالهم دون محاكمات وبعضهم لم يره أحد حتى الان بلغ 3000 شخص. وجاء دور الحيوانات؛ إذ كانت الأرقام لا تقل عن المتعلقة بالبشر.

عدد الإبل مات منها حوالي3600 رأس، لم تسلم بدورها؛ لأنها كانت موردًا غدائيًا مهمًا لسكان المنطقة والوسيلة الوحيدة لتنقل الناس في ذلك الوقت، ولابد من وسيلة لإجبارهم على البقاء دون الهجرة والهروب, وذلك بحرمانهم من وسيلة الانتقال، ومن لم يمت بالرصاص مات بمياه الآبار التي تم تسميمها بشكل يدل على أن الجيش والحكومة بشكل عام ليست لها إلا نية واحدة هي تصفية هذا العرق وإفنائه من الوجود بشكل لا رحمة فيه.

وجراء القمع والتنكيل هاجرت العديد من الأسر هربًا من بطش الجيش، وإلا فإن المفاجأة كانت مروعة حين وجدت الحدود مغلقة أمامها وكأن العملية مدبرة من جميع الأطراف (الدول المجاورة المستقلة حديثًا) واستسلم الجميع لمصيرهم فالجوع والأمراض والأوبئة أمامهم والجيش من ورائهم، ويعتبر وادي فاغاغ: (**الجزيرة نت ، تمدد أزواد ، 2018م:واي باك ميشين**) من أكبر الأماكن التي حدثت فيها المجازر من قبل الجيش المالي سنة6319.

ISSN: 2706-9087

حيث تم حصار الناس والحيوان في وادٍ واحد وأطلقت النيران عليهم بكثافة ولم يبق حيًا في المكان، وفي الغد وجد الرجال أطفالًا صغارًا على قيد الحياة يرضعون أمهاتهم المقتولات، وكذلك الحال بالنسبة لصغار الأبقار والإبل.

مجزرة وادي اينوزال:

هربت بعض الأسر إلى الحدود الجزائرية، وفي وادٍ يدعى اينوزال لحق الجيش بمن فر إلى هناك، ولم يترك أحدًا؛ إذ قضى كعادته على الناس وماشيتهم, ولم يسلم من المجزرة سوى امرأتين من الجنس الأسود،كانتا من إماء السيد الطيوب اق الخضر في ذلك الوقت أتى بهما جنود الجيش إلى مدينة كيدال لاعتبارات تعود إلى لون بشرتهما ليس إلا وكل هذه المجازر وقعت طوال عام كامل؛ إذ بدأ الجيش عملياته من بداية شهر جانفي إلى غاية ديسمبر من عام 1963، وليس هذا كلما وقع في تلك الفترة وعلى مدار عام كامل كانت الحكومة تمارس كافة أنواع التنكيل والتعذيب على الشعب الأعزل في الوديان والبراري وكان الجيش يخشى الاقتراب من أماكن وجود الثوار في الجبال ويصب جام غضبه على العزل من النساء والأطفال والشيوخ ويمارس عمليات التهجير إلى الأماكن المتاخمة للحدود التي كانت مغلقة أمامه ليواجه مصيرًا مجهولًا، وكل تمويل الجيش المتعلق باللحم كان من ماشية الأهالي البدو التي يتم شحنها إلى مناطق الجنوب، ويعتبر ذلك حسب تعبير الحكومة (تبرعات) وبالها من تبرعات تأتي بالغصب، وتم تحريم السكان من كافة الحقوق التي يمكن أن يتمتع بها المواطن فحرم المواطن الأزوادي من التعليم وممارسة ما يدل على هويته، وتم نفي وحتى اغتيال كل الذين لهم فكرة توعية الشعب؛ حيث قتل وهجر العديد منهم مما سبب في الهجرة إلى الدول المجاورة وهناك دخل العديد من أبناء آزواد المدارس وقال موديبو كيتا مقولته الشهيرة وفكرته العبقرية؛ حيث قال في اجتماع عام: **هناك طريقتان للقضاء على هذا الشعب لا ثالث لهما:** الطريقة الأولى: تهجين السكان بمعنى إجبار نسائهم على الزواج من الجنود السود حتى يولد جيل ممزوج بين العرق الأبيض والأسود وتكون حينها مناصفة بين الجنسين.

الطريقة الثانية: هي تهجير السكان من المنطقة بشكل كامل إلى أية منطقة خارج حدود وجودهم الحالية وبهذا ينتهي وجودهم في المنطقة وأضاف دبي سيلاجرا أن وجود العرق الأبيض بيننا كوجود الجرثومة في صندوق التفاح, ولحمايته لابد من قطع الجزء المتعفن منها، وقال ابدو الرحمان الكومندا إن هذا الخطأ هو خطأ الحكام السابقين الذين تركوا هؤلاء على قيد الحياة ولم يقضوا عليهم بشكل نهائي, وهذا يتجلى في ندمه في بداية أحداث 1990.

ولم يكن هناك اختلاف كبير بين فترة حكم موديبو كيتا وبين فترة موسى تراوري فيما يتعلق بالحقوق المدنية وتشريد الناس، والشيء الوحيد الذي يمكن أن يسجل في هذا الموضوع هو أن موسى تراوري قلل من عمليات القتل في صفوف العزل والحيوانات. أما فيما عدا ذلك فهما لا يختلفان في شيء (**أبوغنيمة: 2009،ص190**).

والحقوق الوطنية لم تتحسن لدى المواطن الآزوادي في أية فترة من الفترات السابقة وحتى الآن سواء الحقوق المتعلقة بالهوية الوطنية وممارسة النشاطات الثقافية في الإذاعة والتلفزيون والتوظيف في الإدارات المدنية والحكومية بمعنى لا يوجد مؤشر يدل على أن أهل هذه البلاد لهم انتماء يذكر بهذه الدولو لا يتم تذكر المواطنون إلا في مناسبات الدولة والانتخابات وموسم دفع الضرائب التي يدفعها المواطن حتى على أُذنيه الاثنتين، فما بالك بما يملكه من الأبناء والماشية. أي أن (الاستعمار خرج من الباب أبيضًا ودخل من النافذة أسودًا).

ISSN: 2706-9087

وبعد اتفاقيات 1991 ادمج عدد من العسكريين في الجيش المالي وكانت هناك نوع من المساواة في الحقوق فيما يتعلق بالرواتب الشهرية ولكن لم تكن لهم أية صلاحيات تذكر في عملهم والأمر نفسه في الإدارات المدنية حيث كان الموظف الصغير والجندي الأقل رتبة يشرف ويتحكم في الأكبر منه أقدمية والأعلى منه رتبة نتيجة عوامل بيروقراطية وعنصرية واضحة، وحدث الأمر نفسه حتى في أعلى هرم السلطة؛ حيث عين وزراء سلمت لهم حقائب وزارية كانت شكلية ولا يملكون أي قرار سياسي وسيادي في أمور الدولة.

ولو أن آزواد يعتبر أقل نسبة في عدد السكان مقارنة بدولة مالي فإنه ليس كذلك حين يتعلق الأمر بالمساحة الجغرافية؛ إذ يشكل مانسبته68 في المائة من مساحة مالي، وتتوفر فيه كل الثروات الباطنية المهمة في العالم من حديد ويورانيوم ونفط وذهب ..الخ.

وللذكر فإن منطقة آزواد قبل الاستعمار الفرنسي لا توجد بينها روابط مشتركة مع مالي، وكل الذي حدث أنه حين غادرت فرنسا المنطقة, اختار السكان وبحكم الجوار و الروابط الدينية أن يشتركوا مع أخوانهم في حكم البلاد .. و بحسن نية كاملة سلم أهل آزواد كل الأمور المتعلقة بالحكم للسود على اعتبار أن يتم تقسيم الحقوق بالتساوي وهذا مالم يحدث, وكان من المفروض أن تكون على الأقل نسبة الربع أو الثلث فيما يتعلق بالسلطة والوزارات ..نتيجة شساعة المساحة الجغرافية، والتقسيم المنطقي للسكان، ولكن ما حدث كان العكس, مارست في حق سكان الشمال كل أنواع الإقصاء و التهميش بالإضافة إلى القتل و التهجير .

على الرغم من أن دولة مالي تتكون أساسًا من قبائل وعشائر وطوائف وديانات ولغات ولهجات مختلفة في تكوينها الاجتماعي و السياسي، فإن الأمر يختلف حين يتعلق بأهل الشمال كلتماشق والعرب؛ إذ يمنع منعا باتًا من تشكيل أحزاب سياسية على أساس عرقي.

مما يدل على أن سكان آزواد محرومين من أية حقوق سياسية أو اجتماعية وغيرها، وإذا كانت دولة مالي تعتبر سكان الشمال من مواطنيها, فماذا قدمت لهم من تنمية ومدارس، ومستشفيات، وآبار، ومشاريع بنى تحتية، وأي شيء يدل على أن هذا الشعب ينتمي لدولة تهتم بشعبها, ومالي لم تضع أي بصمة لها في المنطقة تدل على اهتمامها بها, سوى جرائم ووصمة عار لم تنمحِ من ذاكرة العموم إلى حد الآن.

ولم يذكر في التاريخ أن استعملت دولة ما دبابات وطائرات ضد شعبها, ومالي كانت السباقة إلى فعل ذلك .. ولم تترك وسيلة لم تستعملها لإبادة هذا الشعب إلا واستعملتها إلا التي لم تكن في متناول أيديها. ولاتزال في شاطئ السنغال قرب داكار جزيرة هناك تشهد على وحشية الفرنسيين ضد السود (**القشاط** : **1999ف،ص 214**).

المبحث الثالث ـ .تطور الصراع:

إن أسلوب إقصاء الطوارق واحتواء مطالبهم إلى الحد الذي لا يقوض الاستقرار السياسي والإثني، هو الأسلوب الذي انتهجته مالي طوال عهد مودوءيبو كيتا حيث قرب المصير من أجل تكوين دولة مستقلة لهم إليه العناصر الإفريقية التي

ISSN: 2706-9087

تقطن جنوب البلاد مانحًا إياهم المناصب العليا في الحكومة والقوات المسلحة والجهاز الإداري في حين عان الطوارق في ولايتي كيدال وتنبكت الصحراوين انحيازًا ثقافيًا، وتهميشًا اقتصاديًا، وظلمًا اجتماعيًا، بعد ضمهما بالقوة لحدود مالي، فتطورت مطالب الطوارق في البداية بتحقيق العدالة والمشاركة السياسية، إلى المطالبة بالحكم الذاتي وصولاً للمطالبة بحق تقرير المصير، ومن ثم اتسمت العلاقة بين جنوب مالي وشمالها بالتوتر الذي وصل لحد الصدام المسلح؛ حيث ثار الطوارق مرات عديدة ضد أنظمة الحكم في مالي، بداية من عام 1963م عندما انطلقت رصاصتهم الأولى في يونيو من نفس العام، وذلك عندما قام أحد أعوان الأمن الماليين بسبب غطرسته ووحشيته بتفجير حدث خبيث استمد جذوره من الحقبة الاستعمارية ففي حادثة استفزازية قال لشاب طارقي اسمه '' ألحاجي أغ آلا: أنت لا تستأهل إلا ما قد سبق لوالدك أن لقيه من الفرنسيين '' ووالد ألحاجي أسمه '' آلا أغ البشير'' كان معاديا للإدارة الاستعمارية منذ سنة 1929م وقد قُتل ابنه الأكبر محمد أغآلا سنة1954م، وبعد دفنه بثلاثة أيام، قام الفرنسيون بإخراج جثته من القبر وقطعوا رأسه وطافوا بها في كل منطقة ''بوريسا''. والتذكير بهذه الحادثة لم يكن من مبرر منطقي فلم يلبث الشاب أن استشاط غضبًا وهو متوتر بما فيه الكفاية بسبب الممارسات العدائية التي يظهرها له رئيس دائرة بوريسا، فقرر أن يثأر من كل الذين ساعدوا الجيش الفرنسي لمعرفة مكان والده وقتله: وكانوا جميعًا من أبناء مجموعته وهكذا، فبعد نزع سلاح رجل الأمن الذي أثاره وسلاح زميله قام ألحاجي بقتل أحد الأشخاص الذين دلوا دوريات التفتيش في البحث عن والده فكانت تلك أول رصاصة أطلقت في ما سمي ''تمرد كيدال''، كانت الرصاصة المشئومة التي أطلقت على السلطات المالية وكانت لتصفية حسابات شخصية''داخلية'' وعلى الرغم من أنها أتبعت بعد ذلك بقليل بإعادة الأسلحة بتدخل من السيد انتالآ غ الطاهر، فقد توالت دوريات التفتيش التابعة للحرس تجوب دائرة كيدال وتروع مخيمات الطوارق، وقامت بتعرية الرجال أمام أسرهم وأرغموهم على التحديق في الشمس وهم مقيدو الأيدي وقد تملك القلق والرعب السكان، وبعد شهرين من ذلك عسكرة المنطقة بالكامل.

وعلى المستوى السياسي، يمثل الطوارق شكلاً خطيرًا في دولة مالي التي تتعامل معهم على أساس أنهم مواطنون من الدرجة الثانية، وذلك بسبب بقائهم بعيدًا عن التمدن، وعلى المستوى العسكري، والإنساني، يظل الوضع في مالي أكثر مأساوية، وقد سبق أن قامت القوات الجوية المالية سنة 1962م بقصف مخيمات آمنة في إدرار بـ (إفوغاس) والتي لا زالت ذكراها في نفوس الأزواديين (**bernus : op . cit . p. 27**).

أما الفعلة الشنيعة الثانية التي ارتكبها الرئيس المالي موديبوكيتا فكانت اغتياله في ظروف غير إنسانية لكل من قيلي دابو سيسكو، وحامدون ديكو، ورجل الأعمال قاسم توري الذين حمّلهم مسؤولية مظاهرات التجار الكبرى في باماكو في 2 يوليو 1962م ضد التأميم وإنشاء الفرنك المالي.

على ضوء الأسباب السالفة تنادى زعماء آزواد في صحرائهم بحي على السلاح عندما وصلت الأمور إلى ما لا يحتمل، وتولى الأمير زيد بن الطاهر زعيم قبيلة إفوغاس جناح الثورة العسكري، وحمد الأنصاري أمير طوارق تنبكت جناحها السياسي، واعتمدوا في ثورتهم حرب العصابات؛ إذ بدأوا في الهجوم على المراكز الحكومية وانتزاع السلاح من جنودها، ونجحوا في عدة هجمات، اعتبر موديبوكيتا أن ثورة كيدال هو انفصال الإقليم بدعم من الخارج لأسباب عنصرية أو لزعزعة نظامه فعزم على سحقها بدون هوادة مما جعل المؤرخين يرونها أكثر قسوة من تلك التي شنها الفرنسيون على مجاهدي المنطقة إبان

ISSN: 2706-9087

احتلالها في القرن التاسع عشر الميلادي، وعلى الفور عبأ موارد البلاد المالية، وشكل كتيبة تضم الوحدات المقاتلة الأساسية التي تركتها فرنسا وعلى رأسها القوات المحمولة (المظلات) التي صارت أفضل كتيبة ضمن جيش الدولة الوليدة –ولقد أبلت بلاءً حسنًا في الكونغو عندما أرسلت إليه عام 1961م ضمن قوات الأمم المتحدة رغم فشلها في حماية (باتريس لومبا) أحد قادة الاتجاه الثوري الاشتراكي الذي ينتمي إليه (موديبوكيتا)– ولقد تولى قيادة هذه القوة النقيب المالي (باراني) وهو من الضباط الماليين الذين انخرطوا في قوات النخبة الفرنسية، وشارك في سنوات عدة في حرب الجزائر ضد المجاهدين؛ حيث تصرف على طريقة المحتل الغازي في الشؤون الخاصة والعامة للناس، وقد اعتبرته فرنسا من الأبطال، ومنحته أرفع وسام للشجاعة، كما أنه يتمتع بخبرة كبيرة في القتال في المناطق الصحراوية والجبلية مسرح تحركه الجديد ضد ثوار آزواد (**القشاط: 1999، ص 38**)، وقد اختار معه في قيادته مجموعة من الضباط وضباط الصف والجنود الذين خبرهم في القوات الفرنسية في الكونغو والذين لا يعصون له أمرًا، وأعطت له جميع الصلاحيات بحيث لا يعود في قراراته إلى رئيس الأركان أو إلى وزير الدفاع مما شكل سابقة قوبلت بتذمر من قبل المؤسسة العسكرية المالية .

وكان أول قرار يتخذه القائد الجديد الذي تسمى بـ (أسد الصحراء) عزله للمنطقة الشمالية التي تجري فيها العمليات بخط وهمي أعتبره (أحمر) ويمتد من كيدال في الجنوب الشرقي حتى حدود النيجر، وفي الشمال الغربي حتى حدود الجزائر وموريتانيا، وأمر السكان الرحل بإخلاء هذا الحيز خلال شهرين، والاستقرار جنوبه، ثم دخل في معارك طاحنة مع الثوار الذين تفوقوا عليه بمعرفتهم لطبيعة الأرض، وتعاطف السكان معهم بشتى طوائفهم فانتصروا عليه في معظم المعارك، مما جعله يلجأ إلى التكتيك الذي خبره في حرب الجزائر كالتنكيل بالسكان بحرقهم داخل مخيماتهم، والتعذيب الممنهج الذي فاق قسوته كإحراق المتهمين من الثوار في لظى حر الصحراء.

ظل أسد الصحراء في حيرة من أمره أمام عجزه في القضاء على المجموعات المتحركة الباقية من الثوار والتي حرمته من كسب المعركة وإعلان الانتصار رغم التعزيزات التي أرسلت له، فتلقى التوبيخ من قيادته العليا مما زاده شراسة ووحشية في تعامله مع السكان.

وهكذا واصلت كتيبة النقيب (باراني) في آزواد مطاردة الثوار في المناطق التي ينشطون فيها بآدرار و إيفوغاس، والجبال المتاخمة للجزائر والنيجر، حيث نجح إلى حد كبير في عزلهم عن مصادر تموينهم الدائمة، وهي مخيمات البدو التي حاصرها الجيش في مجال ضيق قرب دشرتيكيدال، ومنكّه، أو أبعدها إلى ضفة نهر النيجر حيث الكثافة السكانية، وسهولة الرقابة إضافة إلى ما زرعه في نفوس السكان المسالمين من خوف نتيجة القمع الوحشي، كما عبأت الحكومة المالية كافة طاقاتها لسحق الثورة، إلى جانب المساعدات الخارجية التي تلقتها الحكومة، فروسيا قدمت لمالي ثلاث طائرات ورادارات ودبابات صغيرة، كما دعم الرئيس جمال عبد الناصر موديبو كيتا على أنه وجه تقدمي؛ لأن العرب في ذلك الوقت كانوا يرون كل من مشى على خطا الاتحاد السوفييتي تقدميًا كرهًا لأمريكا والغرب لوقوفهم مع إسرائيل (**المونتي: 1963م، ص 86**).

إن آثار الوحشية التي استعملت لقمع هذه الثورة من السهل استنتاجها من التصرفات التي مارستها السلطات:

ISSN: 2706-9087

- تضررت القاعدة الأساسية لاقتصاد دائرة كيدال –وهي تربية المواشي تضررًا– كبيرًا بسبب تلك الإبادة الهوجاء للقطعان.
- ولّد الهلع الذي أصاب السكان نزوحًا كثيرًا نحو البلدان المجاورة.
- عدم استقرار شمال مالي لفترة طويلة نتيجة الصراع، خاصة أمام تزايد مطالب الشمال في الانفصال عن الجنوب.

أما عن موقف كل من حكومتي الجزائر والمغرب من ثورة كيدال فعندما اندلعت الثورة الجزائرية عام 1956م، عمد أهل كيدال إلى التطوع في القتال مع الجزائر بينما مول أهل تنبكت الثورة ماديًا عبر جمع التبرعات، ومنح زكاة أموالهم لتمويل الجهاد ضد الكفار الفرنسيين، حتى من نساء الطوارق تبرعن بحليهن للثوار الجزائريين، وكان عبد العزيز بوتفليقة يستقبل في منكة وكيدال استقبال الأبطال وهو شاب صغير لم يبلغ العشرين، ومع اشتداد الحرب بين فرنسا والمقاومة الجزائرية وكثرة خونة القضية بين الحركيين الجزائريين كان الطوارق هم محل ثقة الثوار الجزائريين وبهم عوضت الجزائر خيانة هؤلاء الحركيين، ويُقدر نسبة الشهداء الطوارق في ثورة المليون شهيد ونصف الجزائرية بأكثر من 45% من إجمالي الشهداء (**النويني: د.ت, ص 35**)

على الرغم من هذه المواقف والتضحيات التي قدمها أبناء الطوارق للثورة الجزائرية فإن الحكومة الجزائرية قد لعبت دورًا في إخماد نيران ثورات الطوارق ضد الحكومة المالية وضحت بمالها وبنينها في سبيل إفشال أي تحرك يمكن أن يؤدي إلى إنجاح تلك الثورات؛ حيث ظهر هذا الدور واضحًا عندما سمحت الجزائر للحكومة المالية بمطاردة الثوار حتى داخل حدودها.

فقد عملت الحكومتان الجزائرية والمغربية على تسليم القيادات الطارقية لحكومة مالي ومن هولاء القيادات محمد الأنصاري الذي أعلن الجهاد على الفرنسيين وقاتلهم قتال الأبطال، وعندما تجرع الفرنسيون منه كؤوس الهزائم في المعارك الطاحنة التي جرت بينهم، قبضت عليه فرنسا ونفته خارج بلاده عام 1948م (**القشاط: 2000، ص 44**).

كان الشيخ محمد الأنصاري صاحب طموحات سياسية واسعة بتكوين دولة طارقية فيما وراء الصحراء إلا أن هذه الطموحات سرعان ما تبددت، بأن رفض عدد من سلاطين وشيوخ قبائل المنطقة هذه الفكرة، فحاول أن يعيد الكرة بطريقة أخرى، فدعاء سكان آزواد وتنبكث من باقي القبائل تكوين حكومة فدرالية يحكمها، إلا أن مشروعه فشل للمرة الثانية، فاستمر لاجئًا سياسيًا في مصر من عام 1954 إلى 1960م ، وتزوج هناك من سيدة مصرية حيث كانت تربطه علاقة رفيعة بالرئيس جمال عبد الناصر.

ثم غادر مصر واتجه إلى ليبيا، كان ذلك عام 1960م، ومكث بها عامين حاول فيهما الاتصال بطوارق ليبيا ودعاهم إلى مساندته في تحقيق حلمه بإقامة الدولة الطارقية إلا أن مشائخ وسلاطين الطوارق بليبيا رفضوا دعوته فغادرها عام 1963م، متجهًا إلى المغرب الذي مكث فيها سنتين، وأثناء إقامته هناك اندلعت الحرب الحدودية بين المغرب والجزائر، فقدم موديبو كيتا رئيس جمهورية مالي بواسطته للمصالحة بين الدولتين وقبل الطرفان وساطته إلا إن موديبوكيتا اشترط تسليم المتمردين على حكومته من الطوارق والعرب، وفعلًا تم تسليم محمد الأنصاري في المغرب لمالي وأودعه موديبوكيتا السجن إلى عام 1968م إثر الإنقلاب العسكري الذي قام به العقيد موسى تراوري بتخطيط واتفاق مع الشيخ محمد الأرواني، والحاكم

ISSN: 2706-9087

العسكر الفرنسي بمالي فأطلق سراحه بعد أن كفله محمد الأرواني عند الرئيس موسى الجديد الذي أمره بمغادرة البلاد وعدم قيامه بأي نشاط سياسي يضر بمالي، وفعلاً غادر محمد الأنصاري بماكو متوجهًا إلى المغرب للمرة الثانية واستقر في الرباط لاجئًا سياسيًا، إلى أن وافته المنية بمدينة الرباط بالمغرب يوم السبت 9/7/ 1994م، عن عمر ناهز ستا وتسعين. ((**المونتي: 1963م، ص 88**).

أما عن موقف التوارق الليبين من الوجود الفرنسي في الصحراء الكبرى فإن ليبيا كانت دائمًا وعلى مر التاريخ هي المحرك الأساسي للصحراء في انتفاضاتها ضد الأجانب، ولم تكن هناك أي حدود بين ليبيا ومناطق الصحراء، وكانت ممالك كانم ، وبرنو، ووداي تتبع الحكم التركي في طرابلس، وأحيانًا كانت تنبكتو تتبع طرابلس الغرب أيضًا، وكان الولاة يعينون لها من قبل الوالي العثماني في طرابلس الغرب.

لهذا كان السكان ينتشرون في هذه المناطق دون أن يمنعهم مانع، فلا تزال حتى الآن قبائل أولاد سليمان التي مركزها منطقة(هراوة) على خليج سرت منتشرة في غرب بحيرة تشاد، وفي منطقة البرابيش بصحراء تاودني شمال تنبكت، ولا يزال قبائل ورفلة التي مركزها بني وليد جنوب شرق طرابلس موجودة بمنطقة كانم شمال نيجريا،كما لا تزال قبائل المحاميد التي مركزها منطقة صرمان غرب طرابلس موجودة بمنطقة (أبشة) شرق تشاد، أما قبائل المغاربة والزاوية والمجابرة فيعدون من سكان منطقة (فايا) شمال تشاد، على الرغم من أن مراكزهم في إجدابي او تازربو والقفزة ، أما قبائل الحطمان والزوايد والجعافرة والمقارحة والقذاذفة فلهم مجموعات في النيجر وتشاد مع أن مراكز وجودهم في ليبيا (**القشاط: 1999، ص 228**) .

لهذا لم يكن فاصل بين الشعب في منطقة الصحراء الكبرى، وكان الناس ينتقلون حسب أهوائهم، وحسب معيشة حيواناتهم يطلبون الماء والمرعى دون فواصل؛ لذلك من الإجحاف أن تفصل جهاد شعب من شعوب هذه المنطقة عن جهاد الشعب الآخر؛ بل لا يمكن فصله، فجميع سكان المنطقة يهرعون للجهاد أينما وُجد، يقاتلون دفاعًا عن الدين الإسلامي، وعلى حقوقهم، ولهذا عندما بدأ الفرنسيون تغلغلهم في الصحراء الكبرى اصطدموا بهذه المجموعات من الليبيين عربًا وتوارق من التشاديين والنيجريين والماليين، وخاصة مجموعات الشمال، وكانت قيادات الجهاد ضد الفرنسيين في الصحراء الكبرى أغلبها من الليبيين، وبعض التوارق الذين تربطهم بالليبيين صلات وثيقة، أمثال محمد كاوصن الذي كان على علاقة وطيدة مع الحركة السنوسية؛ حيث أرسل هذا الرجل الرسائل إلى شيوخ وسلاطين الصحراء يعلمهم بأن السلطان العثماني –وهو رمز المسلمين– قد أعلن الجهاد المقدس ضد الكفار، وعليهم أن يثوروا ضدهم في أي مكان، وقد وصلت بعض هذه الرسائل إلى فهرون الأنصار سلطان والليمدن، وعلم الفرنسيون عن طريق جواسيسهم بما يدبره فهرون فقبضوا عليه ووضعوه تحت الحراسة في قاو ثم نقلوه إلى داكار، ولكثرة أتباع هذا الرجل ومؤيديه حاولت فرنسا استمالته إلى جانبها فأصدرت مرسومًا يقضي بتعينه ملكًا على التوارق، ومنحته من الامتيازات ما يكفل بقاءه مواليًا لها، إلا أنه رفض التصالح وأكد تصميمه على مواصلة الجهاد ضد الفرنسيين فور خروجه من السجن، ورفضه لأي قرار يصدر عنهم.(**القشاط: 1999، ص 228**)

وهنا تحركت القوات الفرنسية من قرية قاو لتطويق ثورة فهرون وإخمادها فأحاطت به هذه القوات في قرية أضر بوكار، وجرت معركة عنيفة أُستشهد فيها الكثير من أنصاره أعقبها مذبحة رهيبة في الأطفال والنساء في مخيم فهرون الأمر الذي أجبر من خلاله فهرون للانسحاب إلى الشمال، ولسوء حظ الثورة اصطدم أثناء انسحابه بمجموعة من توارق القهار الأعداء

ISSN: 2706-9087

التقليديين لسلطنة والليمدن ـ كانوا مجندين مع الفرنسيين فأشتبك معهم في معركة أستشهد أثناءها وهم لا يعرفونه، ولكن بعد المعركة ومن بين الشهداء تعرف عليه من يعرفه فأسرع لإخبار الفرنسيين، وهنا تفرغ الفرنسيون كعادتهم للبطش بالسكان ومزقوا سلطنة والليمدن شر ممزق فقسموها إلى شيوخ تابعين للسلطة الفرنسية مباشرة في قاو، وتنبكت من مالي، وتلاييري من النيجر، ودوري في بوركينا فاسو، في الوقت الذي بدأ فيه محمد كاوصن الزحف بقوات المجاهدين من الشمال باتجاه أقدر تسبقه رسائله للسلاطين مبشرًا إياهم بالنصر المؤكد على الفرنسيين، وبوعود الألمان الذين سيلاقونه في نيجريا (**أندروا: 1973م ص231**) .

الخاتمة

يمكن استنتاج النتائج الآتية :

- إن الإقصاء والتهميش والقمع الذي تعرض له سكان آزواد من قبل الحكومات المالية المتعاقبة من أسباب اندلاع التمرد والثورات في مالي حتى الوقت الحالي.
- اعتبر كيتا ثورة كيدال انقلابًا على نظامه فكانت ردة فعله أكثر وحشية من حملات الفرنسيين على مجاهدي المنطقة فترة احتلالها.
- من أهم تداعيات الثورة أنها أضرت باقتصاد البلاد، ونزوح السكان إلى الدول المجاورة.
- لم يكن تسابق كل من الجزائر والمغرب على كسب ود موديبوكيتا مقابل تدخل كيتا لفض النزاع الحدودي بينهما فحسب؛ بل لإفشال قيام دولة أمازيغية بالأساس.
- اعتبر شمال مالي في عهدي كل من كيتا، وتراوري منطقة متمردة ضد الحكم المركزي.
- كان معارضة مشروع الشيخ محمد الأنصاري الرامي لإنشاء دولة طارقية فيما وراء الصحراء من قبل شيوخ المنطقة السبب الرئيسي في تشتت طوارق اليوم في الدول المجاورة دون نظام يأويهم.

قائمة المصادر والمراجع .

أولاً- المصادر:

1. اليعقوبي ، أحمد :1955م : تاريخ اليعقوبي : ت:محمد صادق:بيروت، لبنان
2. النصيبي، أبو القاسم بن حوقل:1938: كتاب صورة الأرض ، ج1 ، ليدن .
3. الخوند ،مسعود، د ت: الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج18 ،موسوعة لوكسبورغ، مصر.
4. النويني ، الحافظ ،د ت: أزمة الدولة مابعد الاستعمار في أفريقيا حالة الدولة الفاشلة (مالي نموذج),جامعة محمد الخامس,الرباط..

ثانياُ . مراجع عربية :

1. الدالي ،الهادي ،2006م : قبائل الطوارق، دار الكتب الوطنية ، بنغازي، ليبيا .
2. الدالي ،الهادي ،2002م : قبائل البراريش، دراسة وثائقية ، الزاوية، ليبيا .

ISSN: 2706-9087

3. القشاط ،محمد سعيد ، 2000ف: أزواد أو صحراء التيزي ، مؤسسة ذي قار.
4. القشاط ،محمد سعيد ، 1999ف:التوارق عرب الصحراء الكبرى، ط3 ،مؤسسة دي قار.
5. شفيق ،محمد،1989م: ثلاثة وثلاثين قرناً من تاريخ الأمازيغيين ، (تامونت) ، ع 79.

ثالثاً : مراجع معربة :

1- أندرو ،ساليفو،1973م: (كاوصن أو الثورة السنوسية)، المركز النيجري للبحوث، ت(محمد عبد الرحمن عبد اللطيف) ،نيامي ، نيجريا.
2- مونتي ، فانسال،1963: الإسلام في أفريقيا السوداء، دار سوى، باريس.

رابعاً: مراجع أجنبية:

1-Louis ,Tauxier1937، : Moeurs Et Histoire des Peuls Paris Payout .
2- أبوغنيمة ، الصادق : أكاديمية الدراسات العليا–طرابلس – ليبيا: الإستعمار الفرنسي لمالي 1892-1961 :رسالة ماجستير غير منشورة

خامساً: مواقع إلكترونية:

1. موقع الحركة الوطنية لتحرير آزواد **http; ar,Mnlamov.Nt . M.N.I. A**
2. الجزيرة نت ،2018 : تمرد أزواد : راي باي ميشين